

## فى وجوه إجاز القرآن الكريم ودلالته

اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة، وهى إما حسية وإما عقلية ليراها ذو البصائر كما قال الرسول ﷺ: ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إالى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً. "أخرجه البخارى".

أى أن معجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وفى كل عصر يظهر ما يدل على صحة دعواه، أى أن معجزة القرآن تشاهد بالبصيرة ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجز لا يقدر عليه أحد أى لا يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك، وأن آيات من آيات الكتاب أمر كاف للدلالة قائم مقام المعجزات، وأن القرآن تحدى أفصح الفصحاء طول السنين فلم يقدرُوا على أن يأتوا بمثله.

ونادى عليهم باظهار العجز وإعجاز القرآن فقال: ﴿قُلْ لَّيِّنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء ٨٨).

فحاجتهم إلى التحدى تبعث على الحيلة حتى يتقوا أن يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية، وهذا ما حملهم على التصدى للحرب وقتل من عليتهم وأعمامهم وبنى أعمامهم، والقرآن يحتج عليهم صباحاً ومساءً فيعجزون حتى أن يتكلفوا ذلك طوال ثلاث وعشرين سنة.

ووجه الإعجاز ليس بصرف العرب عن الاتيان بمثله وإنما لاستمرار النظر إلى فصاحته وغرابه أسلوبه مع سلامته من جميع العيوب وترتيب ألفاظه وموافقته للمعنى من أول القرآن إلى آخره ولا أحد من البشر

يحيط بذلك علماء.

ولإعجاز ثلاثة أوجه. أحدها يتضمن الأخبار عن الغيب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل إليه.

والوجه الثانى كان معلوماً من حال رسول الله ﷺ أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبأتهم وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من الأمور العظيمة والسير الهامة من حين خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى حين مبعثه.

والوجه الثالث أنه بديع النظم عجيب التأليف فى بلاغة متناهية إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه. ونظم القرآن خارج عن المعتاد ومباين لأسلوب الخطاب فله أسلوبه الذى يختص به، ويتميز فى تصرفه، فهو لا يتعمل ولا يتصنع فهو ليس من باب السجع ولا فيه شئ منه وكذلك ليس من قبيل الشعر، فغذا تأمله المتأمل تبين بخروج القرآن عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم بخصوصية ترجع إلى جملة القرآن. وهو على كثرتة وطوله متناسباً فى الفصاحة كما وصفه الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (الزمر ٢٣).

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء ٨٢).

فالقرآن يتضمن قصصاً ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام وإعذار وإنذار ووعد ووعيد وتبشير وتخويف وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير ماثورة دون أن يقصر عن أى من كل تلك الوجوه، بل هى على حد واحد فى حسن النظم وبديع التأليف والرصف لا تفاوت ولا انحطاط عن المنزلة العلية ويظهر التفاوت الكثير عند

التكرار وعند اختلاف الأسباب. والقرآن يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب.

وإعجاز أسلوب القرآن أبلغ دليل على أنه من عند الله \_ جل جلاله \_ وليس من نظم محمد عليه الصلاة والسلام، لقد عاش محمد بين الناس في قريش بمكة أربعين عاماً قبل أن ينزل عليه وحى السماء، فكيف يتأتى له أن يجيء بما جاء في الكتاب الكريم من أحوال الأمم السابقة وقصص أنبيائهم، والفرق شاسع بين لغة القرآن الكريم ولغة الحديث الشريف. رغم أن الرسول عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم. عبر القاص عياض يصف بلاغة وفصاحة الرسول ﷺ قائلاً: " فأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان الرسول ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلامة طبع وبراعة منزع، وإيجاز مقطوع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم السنة العرب، فكان يخاطب كل أمة بلسانها ويحاورها بلغتها، وبيارها في منزع بلاغتها، وهذا القرآن الكريم نفسه، هو الذي جعل أحد الأعراب والذي يعرف بفطرتة جمال اللغة، وإعجاز البيان.. كما قال أبو عبيدة \_ رجلاً يقرأ: ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الحجر ٩٤) خر ساجداً قائلاً: سجدت لفصاحة هذا الكلام.